## رابعاً : التصور المعيارى لاستراتيجية التنمية فى قطاع التعليم

### ● التخلف الحضـــارى :

يجمع الكثير من الكتاب والمفكرين اليوم على ظاهرة التخلف الثقافى فى الوطن العربى وعلى أن أهم مظاهر هذا التخلف وأسبابه فى نفس الوقت هو الجمود الفكرى الذى أصبح قابلا للاستلاب أو الغزو من قبل الثقافات الأخرى وبخاصة الثقافة الغربية ، وأن أخطر مترتبات هـــذا الجمود هو ما يظهر على جهود التنمية من روح التواكل وتغليب المنفعة الفردية والفئوية على حساب المصلحة العامة ، واختلال التوازن بين الأخذ والعطاء وعدم وضوح العلاقة بين مطالب الاستهلاك والاستمتاع من ناحية ومطالب الانتاج والجهد والمسئولية من ناحية أخرى[٥١] .

وهـــذا التخلف الثقافى والحضارى يرجع لعدة قرون ماضية وقد غذته عوامل متعددة وظروف سياسية وتاريخية معينة تعرضنا لبعضها فيما سبق ولكن أهمهـــا ظروف التبعية والانبهار الكلى بمنتجات الغير وبخاصة الحضارة الغربية . وبالرغم من تعدد المشاكل التى تواجـــه الانســـان الا أن مشكلة كل شعب يمكن اعتبارها فى جوهرها مشكلة حضارية وأنه لا يمكن لشعب ما أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته الى الأحداث الانسانية ويتعمق فى فهم العوامل التى تبنـــى الحضارات أو تهدمها[٥٢] .

والحضارة تتكون من ثلاثة عناصر أساسية هى الانسان والأرض

---

(٥١) حامد عمار « التربية العربية وعائدها الانمائى » ( ص ٣٩٦ ) .

(٥٢) مالك بن نبى . شروط النهضة ( ترجمـــة عمر كامل مستاوى وعبد الصبور شـــاهين ) بيروت ، دار الفـــكر ( الطبعـــة الثالثة ) ١٩٦٩ ( ص ٢٣ ) .

ـ أو التراب ـ والوقت ، بالاضافة الى ما يسميه مالك بن نبى[٥٣] بالمركب الحضارى والذى يمثل المبدأ أو الفكرة الدينية على الخصوص والتى تقوم بمزج العناصر الثلاث فى تركيبة معينة تعبر عن دينامية هـذه الحضارة . كما أن الحضارة يمكن أن ينظر اليها عموما كمجموعة من العلائق بين المجال الحيوى « أو البيولوجى » أو المـادى حيث ينشأ ويقوى هيكلها وبين المجال الفكرى حيث توالد وتنمو روحها ، وبالتالى فانه يستحيل انشـاء حضارة من بعد واحد وبمعزل عن تفاعل البعد الآخر ، ومن هنا فان تكديس الأشياء الحضارية أو شراء منتجات الغير ـ كما تفعل الدول العربية اليوم ـ لا يعتبر بناء حضاريا لأن شراء منتجات الحضارة الغربية يعنى حيازة الهيكل والجسـد وليس الفكرة أو الروح .

وللحضارة دورة تتم على منوال معين ، اذ تبدأ الحضارة عندما تدخل التاريخ فكرة دينية معينة أو مبدأ أخلاقى معين وتنتهى عندما تفقد الفكرة أو المبدأ والروح هيمنتها على الماديات أو الغرائز المكبوتة والمكبوحة الجماح[٥٤] وعند بداية كل دورة يكون الانسان فى حالة سابقة للحضارة أما فى نهايتها فيكون قد تفسخ حضاريا وسلبت منه الحضارة تمامـا وبالتالى يدخل فى عهد ما بعد الحضارة ولا تنبعث الحضارة من جديد الا بالعقيدة الدينية أو بتسجيل الفكرة أو المبدأ الأخلاقى فى نفوس الأفراد من عامة الناس .

ولذا فان المشـاكل التى تحيط بالانسـان تختلف باختلاف بيئته وباختلاف الأطوار فى الدورة الحضارية التى فيها مجتمعه ، فالانسانية لا تعانى مشكلة واحدة بل مشاكل متعددة ومتنوعة تبعا لتنوع مراحل التاريخ وبالتالى فان علاج أى مشـكلة لابد أن يرتبط بعوامل زمنية ونفسية تنتج عن الفكرة الدينية التى تؤرخ للتطور الاجتماعى فى الدورة

---

(٥٣) المرجع السابق ص ٦٦ .  (٥٤) نفس المرجع ص ١٠٥ .

الحضارية ، ولذا فانه لا يجوز لأحد ما أن يضع الحلول والمناهج مغفلا مكان أمته ومركزها من دورة التاريخ أو الحضارة • أما أن يستورد حلولا من الشرق أو الغرب دون ملاءمتها للأوضاع المحلية ، فان فى ذلك تضييعا للجهد ومضاعفة للداء اذ أن كل تقليد فى هذا الميدان هو جهل وانتحار[٥٥] فالمقياس العام لعملية الحضارة هو أن الحضارة هى التى تلد منتجاتها وأنه من السخف والسخرية أن نعكس هذه القاعدة ونحاول أن نصنع حضارة من منتجاتها[٥٦] •

* * *

● النموذج الانمائى المطلوب :

لقد وضح جليا أنه لابد من نظرة بديلة للتنمية والتقدم ، فلم تعد التنمية مجرد عملية اقتصادية تكنولوجية تؤدى فى معظم الأحوال الى ما أسماه الاقتصاديون بظاهرة تحديث الفقر ، كما أنها لم تعد مجرد عملية نقل وتقليد لأنماط وأساليب مستخدمة فى مجتمعات أخرى تؤدى فى الغالب الأعم الى تحجيم الامكانات المحلية وقتل روح الابداع والمبادأة والابتكار ، كما أنها لم تعد عملية مرتهنة بمعونات الدول الصناعية واستثماراتها والتى تؤدى فى الغالب الى تكريس واقع التخلف والتبعية • بل هى قبل كل شىء عملية بناء حضارى يؤكد فيه المجتمع هويته وذاتيته وابداعه ، وهى بالتالى تتطلب أولا — لصياغة هذا البناء الحضارى المتكامل — الوعى بأن عملية التنمية هى عملية ارادية وبالتالى فهى أداة خاضعة وليست هدفا حاكما فى حد ذاتها وبخاصة فى اطار النهضة الحضارية للمجتمع[٥٧] وهى عملية تحرر من الاستعمار الاقتصادى والحضارى وبالتالى فان أول شرط لها هو فك ارتباطها الحالى بالنظام الاقتصادى العالمى الشىء الذى لن يتأتى الا عن طريق ارادة سياسية واضحة

---

(٥٥) المرجع السابق ص ٧٠ .  (٥٦) نفس المرجع ص ٦١ .

(٥٧) انور عبد الملك ، « تنمية أم نهضة حضارية » فى دراسات فى التنمية والتكامل الاقتصادى ( ص ٣٧ ) .

ومثابرة • وبالرغم من أن الارادة السياسية أو الاختيار السياسى غير كاف — لوحده — فى معالجة مشكلات التنمية الا أنه يمثل خطوة ضرورية للبحث عن مقومات النجاح فى الطريق المختار • ولا شك أن فك الارتباط أو التحرر من التبعية والاستغلال تعنى الاعتماد على النفس عن طريق التوجه الى الداخل انتاجا واستهلاكا وحضارة ، وهذا ليس دعوة للانغلاق على الذات أو حتى لتحقيق الاكتفاء الذاتى وانما هو دعوة الى أن « التنمية الراسخة والمطردة تتضمن عمليات الابداع والتجديد كشرط لازم من شروطها الى جانب عمليات الاقتباس والتكيف والاستفادة من تجارب الغير » (٥٨) فهى كما يقول اسماعيل صبرى « دعوة للتخلص من الأوهام وادراك حقيقة أن أحدا لا يبنى بيت آخر ، وأن الصدقة حتى ولو قبلناها على حساب الكرامة • ليست جزءا من حياة العالم الاقتصادية والسياسية » (٥٩) •

اذن ، فان النموذج الانمائى المطلوب هو نموذج يعتمد على الانسان — كل الانسان وكل انسان(٦٠) — فهو يضع الانسان هدفا ووسيلة فى نفس الوقت ، الهدف الأسمى والوسيلة النبيلة ، وبالتالى يصبح اشباع حاجاته الأساسية — الجسمية والفعلية والاجتماعية — نقطة أساسية فى مسلسل الأهداف التنموية • ولما كان الانسان صانعا واجتماعيا بطبعه فانه لا يستطيع أن يفى بتلك الحاجات الأساسية الا فى اطار العمل الاجتماعى والذى تصبح ممارسته شرطا أساسيا لاحداث التنمية • ولكن العمل الاجتماعى لا يمكن تصوره على أنه مجموعة من ردود الأفعال التى تقتصر على النشاطات التى تبذل فى مواجهة المشكلات عند ظهورها ومحاولة التغلب عليها وتخفيف آثارها كما هو الحال بالنسبة لفئات المعوقين أو المحرومين وغيرهم من الفئات التى

---

(٥٨) اسماعيل صبرى عبد الله « التنمية الاقتصادية » **فى دراسات فى التنمية والتكامل الاقتصادى العربى** ( ص ٧١ ) .

(٥٩) نفس المرجع ( ص ٧٢ ) .

(٦٠) حامد عمار « التربية وعائدها الانمائى » ( ص ٢٩٩ ) .

تستوجب العطف وتحتاج الى العون والمساعدة ، ولكنه يمثل مجموعة من العمليات والأنشطة المخططة والتى تضمن كفاءة الأداء فى الجوانب الانسـانية من برامج ومشاريع التنمية الاقتصـادية والاجتماعية ، وتستهدف فى النهـاية ضمان وصـول ثمرات التنمية الى المستحقين والمنتفعين منها •

فالعمل الاجتماعى ليس محدودا فى عملياته أو مجالاته أو القطاعات البشريه المنتفعه به ، فهو بالتالى يعتبر الوسيلة الوحيدة للوصول الى التنمية الاجتماعيه والتى ترتبط بدورها بتنمية الموارد البشرية والتى تمكن الانسان من القيام بادواره الاجتماعيه والانتاجية فى الحيـاة وتوفير المطالب الأساسية للحياة كالرعاية الصحية واتاحه الفـرص التعليمية وفرص العمل ، وتأمين الغذاء والدواء والسكن وغيرها من الحقوق الانسانية التى تبنتها المواثيق الوطنية والاقليمية والدولية • ولابد — للوصول الى هـذه الأهداف — من اكساب الأفراد المعرفة والخبرة والمهارات التى تمكنهم من المشاركة الفعالة فى مختلف شئون مجتمعهم الحياتية ، لذا فان النموذج الانمائى العربى المطلوب هو نموذج يؤكد على انسانية التنمية وعلى طابعها الديمقراطى وعلى عنصر المشاركة فيها من قبل المواطنين حسب قدراتهم وطاقاتهم ومواقعهم وذلك بالنسبة لمـا يتعلق بالاستفادة من ثمراتها أو بتوزيع مسئولياتها من تخطيط وتنظيم وتنفيذ ومتابعة وتقييم بالنسبة لبرامجها ومشروعاتها •

كما يؤكد هـذا النموذج على الطابع التحررى والاستقلالى لعملية التنمية ورفضها لعلاقات التبعية من خلال الاعتماد الجماعى على النفس والذى يكسب الانسان العربى الثقة فى ذاته وهويته حتى تصبح نقطة البداية وأساس العمل كله هى هدف تحقيق السيادة الوطنية المطلقة فى مجالات الحياة العربية جميعها • كما يؤكد هـذا النموذج على الطابع الحضارى للتنمية وأنها تعنى فى المقام الأول الاعتماد على النفس وتعبئه الامكانات والطاقات والقوى الوطنية كما تعنى التنمية القومية الشاملة المشتركة والمتوجهة نحو الجماهير ومؤكدة للشخصية الحضارية العربية وقادرة

على ايقاظ الوعى وقوى الابداع والتجديد فى المجتمع[٦١] وكما يقول اسماعيل صبرى فان « التنمية الشاملة تعنى فى حالة العرب — حركة احياء حضارى ترد للمجتمع العربى قدرته على التجديد ذاتيا وتفتح أمامه الابداع ، ولا يتأتى هـذا الا بتحرر الانسان العربى من الفاقه والعوز والجهل ، وتحرير العقل العربى من السلفية المتحجرة التى ترفض الاجتهاد والتجديد »[٦٢] .

* * *

● **التصور المعيارى لنظام التعليم :**

ان تصور التنمية كمشروع حضارى عربى لابد أن يستند الى نظام تعليمى جديد فى بنيته ووظيفته حتى يستطيع المساهمة فى بناء المشروع الحضارى للتنمية العربية .

فنظـام التعليـم الحـالى يحتـاج الى تغيير جـذرى لا يمكن أن يتـأتى — كما يقول البعض — عن طـريق نقـل فئات التجـارب التربوية العالمية التى تحدث فى مناطق العالم المتقدم وخاصة العالم الغربى[٦٣] ، فالتجارب التربوية العالمية لا تعنى الا امكانات مفتوحة واحتمالات ممكنة بالنسبة لدول العالم الثالث ، كما أنها لا تتخذ معنـاها الا من خلال التحليل العلمى والموضوعى لواقع التربية والتعليم فى دول العالم الثالث ، فالأصل أن تبحث الدولة النامية فى واقع مشـكلاتها التربوية والتعليمية ومن ثم تنتقى بعد ذلك الحلول الممكنة لتلك المشكـلات من خـلال حصاد التجربة العالمية ، أما السـير فى الطريق المعاكس — اقتباس الحلول وتطبيقها دون تحليل للمشاكل المحلية — فانه لا يتنافى مع طريقة البنيان الحضارى فحسب وانما ينكر أيضا للعقلانية والمنطقية ، فالدولة المقتبسة فى هـذه الحالة لا تتمتع بفائض القيمة التاريخى الذى

---

(٦١) اسماعيل صبرى عبد الله « التنمية الاقتصادية » فى دراسات فى التنمية والتكامل الاقتصادى العربى ( ص ٥٥ ) .

(٦٢) نفس المرجع ( ص ٥٥ ) .

(٦٣) عدنان الأمين « الاتجاهات المستقبلية فى الفكر التربوى العربى » ( ص ٢٠٦ ) .

تتمتع به الدولة المصدرة لمثل هـذا النمط من الحلول • فلكل مجتمع خصوصيته التاريخية والتى يجب أن يحافظ عليها أو يدخلها فى حساباته وتخطيطه للمستقبل(٦٤) •

لذا فان نظام التعليم المنشود لابد أن يستند الى فلسفة تربوية تعليمية تكون أكثر تفاعلا مع قضايا المجتمع ومشاكله ، وبالتالى تنعكس معالمها ومتضمناتها على صعيد المناهج التربوية وأدوات التعليم وأساليبه وطرائقه فتعطى عناية خاصة لقضية الأصالة والتجديد فى المجتمع العربى ، بدءاً بمشاكل اللغة العربية كلغة وطنية وقومية ومشاكل التعريب والترجمة ومناهج العلوم والرياضيات ومسارات التعليم الفنى والمهنى • ولابد أن تساعد هـذه الفلسفة فى اعادة النظر فى وظيفة التعليم ليصبح وسيلة لتمكين المتعلم من اكتساب المعارف والمهارات بدرجات متزايدة ومتفاوتة حسب امكانيات المتعامين وطموحاتهم بدلا من اقتصاره حاليا على وظيفة غربلة المتعلمين فى ضوء معايير نمطية محدودة(٦٥) •

ان أول خطوة للوصول الى الفلسفة التعليمية المنشودة والى التصور المعيارى للتعليم ، لابد أن ترتبط منطقيا بالخطوات الأولى فى التصـور المعيارى للتنمية العربية ، وهى فك الارتباط الحالى بين نظام التعليم العربى والنموذج الغربى فى التعليم كما هو متصور وممارس فى المنطقة العربية ، فلا بد اذن من الخروج من مرحلة الاقتباس والاستهلاك الى مرحلة الانتاج للمعارف التربوية ، فالتجديد التربوى الشـامل الذى ننادى به بعض فئات المربين اليوم لا بد أن يفهم على أنه دعوة الى الابداع والابتكار فى التربية والقدرة على تكوين الانسان العربى الذى يسـهم بدوره فى خلق العلم والتكنولوجيا العربية والثقافة العربية(٦٦) • وبالتالى

---

(٦٤) أنور عبد الملك « تنمية أم نهضة حضارية » **فى دراسات فى التنمية والتكامل الاقتصادى العربى** ( ص ٦٣ ) •

(٦٥) حامد عمار « التربية العربية وعائدها الانمائى » ( ص ٤٠٠ ) .

(٦٦) غى اغايزينى ، الجمود والتجديد فى التربية المدرسية ( ترجمـة عبد الله عبد الدائم ) بيروت دار العلم للملايين ١٩٨١ ( ص ١٣ ) .

فان على نظام التعليم العربى أن يتخلى عن طابعه المدرسى الأكاديمى ويتنوع ليغطى المجالات النظامية واللانظامية فى الحياة ، وألا تقتصر وظيفته على إعداد النشء للقطاع الحديث وتخريج مواطنين مغتربين عن مجتمعهم سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، بل لا بد أن تتسع وظيفته لكى تغطى احتياجات القطاعات العريضة من الجماهير والتى لا يمكن للتعليم المدرسى وحده أن يعد لها اعدادا فعالا ، فلابد للتعليم أن يمتد رأسيا ويستمر باستمرار حياة المواطن ويتنوع أفقيا بحسب تنوع قدرات الانسان ومهاراته ، فالمجتمع المنشود هو مجتمع متغير باستمرار وتجدد فيه حاجات الاعداد والتدريب مع تجدد بنية العمل وضرورات التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ولا يعنى ذلك دعوة الى الغاء دور المدرسة أو الاستغناء عن التعليم المدرسى أو النظامى واستبداله بتعليم لا نظامى وانما هو دعوة لتكامل النوعين من التعليم ، فالمدرسة لا تزال تقوم بالدور الأساسى فى التكوين الفكرى والمعرفى عن طريق امداد التلاميذ بالقدرات اللفظية والفكرية وأدوات المعرفة الأساسية والضرورية لأى اعداد لاحق(٦٧) .

فالمفروض فى نظام التعليم المنشود — اذن — أن يوفر حدا أدنى من الفرص التعليمية لأكبر عدد من الكبار والصغار على السواء وبخاصة الذين لم يحالفهم الحظ من نيل فرص فى التعليم الأساسى أو تسربوا منه بحكم العوامل الاقتصادية والاجتماعية .

فتوفير الحد الأدنى من حاجات التعليم للصغار والكبار هو الشرط الأساسى لمشاركة الأفراد فى الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وبالتالى فان الاهتمام بالقراءة والكتابة أو محو الأمية الأبجدية وبالتعليم الوظيفى أو اكتساب المعارف والمهارات اللازمة للنشاط الانتاجى — تصبح من أهم الوظائف القاعدية لنظام التعليم ، ولذا فلا بد من تضافر الجهود القطرية والقومية من أجل توسيع مثل هذه النشاطات القاعدية

---

(٦٧) المرجع السابق ص ٢١ .

والارتقاء بها حتى تقف حجر عثرة دون عودة الأمية الأبجدية أو تفشى الأمية الثقافية والحضارية ، وبمعنى آخر فان نظام التعليم المنشود لابد أن يتخذ من التعليم المستمر أو المتجدد أحد محاوره الاستراتيجية لمقاومة السقوط فى مصيدة الأمية بشقيها الأبجدية والحضارية ، فمشكلة التنمية الرئيسية فى النهاية لا تكمن فى توزيع الموارد البشرية التوزيع الأمثل فحسب وانما تكمن أيضا — وبدرجة عالية — فى تنمية هـذه الموارد نفسها وذلك من حيث طاقاتها الانتاجية والابداعية .

ولا شك أن نظام التعليم بشقيه النظامى واللانظامى هو المسئول الأول والرئيسى فى تنمية الموارد البشرية ، بدءا بمحو الأمية والتعليم الابتدائى والأساسى ومرورا بالتعليم الثانوى والعالى وتعليم الكبار . فالتعليم الثانوى يجب ألا يسيطر عليه الطابع الأكاديمى النظرى كما يجب ألا يقتصر ارتباطه بالتعليم العالى كما هو سائد الآن ، بل يجب أن تتنوع قنواته ليستجيب لمطالب التنمية والتحديث ويقضى على مشكلة «عدم المواءمة» بين مخرجاته من جهة ومتطلبات التنمية من جهة ثانية والمتمثلة أساسا فى قلة وضعف تكوين الأطر الفنية المتوسطة والمطلوبة للتعامل مـع مشـاكل التشـغيل والصيانة للكثير من الآلات والمعدات والأجهـزة التكنولوجية المستوردة . كما أن التعليم العالى لابد أن يتنوع هو الآخر وتتعدد نماذجه فى ضوء حاجات التنمية من جامعات اقليمية وجامعات مفتوحة وكليات مجتمعية وغيرها ، كما يجب أن تتطور مناهجه حتى تتصل بمشاكل المجتمع وبطرق البحث العلمى الأساسى والميدانى حتى تنمى لدى الطلاب الاتجاهات العلمية والفكرية وتفتق لديهم الرؤى المستقبلية لمطالب المجتمع وكيفية مجابهتها فى اطار التنمية الحضـارية الشـاملة .

ان نظام التعليم المنشود لابد أن يدعو الى الاعتماد على النفس والى تحديث العقل العربى وتمكينه من استيعاب روح العصر حتى يستطيع مواجهة تحدى الثورة العلمية والتقنية والمساهمة فى ردم الفجـوات التى تعانى منها البلدان النامية فى مجال الغذاء والصحة والتعليم والعلم والتكنولوجيا وغيرها ، وحتى يكون الاعتماد على النفس أكثر فعالية فلا بد

أن يكون جماعيا وبالتالى فلا بد من تعاون الدول النامية فى مجال التعليم وخاصـــة تلك الدول التى تربط بينهـــا علاقات الجـــوار أو الروابط الحضارية والسياسية والاقتصادية كما هو الحال بالنسبة لأقطار الوطن العربى ، فليست الخيارات المطروحة فى العالم الثالث فى مجال التنمية والتعليم هى بين القطرية والقومية وانما هى فى الأساس بين تكامل التبعية للعـــالم المتقدم أو الغرب الرأســـمالى ، وبين تكامل التكافؤ بين دول العـــالم الثالث[٦٨] .

فالمفروض فى نظام التعليم المنشود أن يقلل من اتجاهات التبعية أو الاعتماد على الغير ويحارب بشدة تلك الظواهر التى تعرف باســـم الاحالة فى اتخاذ القرار أو ابعاد المسئولية عن الذات والقائها على الآخرين ، وكما ينادى بعض المفكرين فاننا « أهل الاحالة بغير منازع ! مشكلاتنا محالة الى غيرنا . ثمة احالة فى السياسة ، فالحل بأيدى غيرنا كما يقولون . وثمة احالة فى الاقتصاد ، فالانتاج لغيرنا والاستهلاك لنا ، وثمة احالة فى الفكر والفقه ..... فى النهاية أصبح الحال كما لا يخفى على أحد ، صارت عقولنا تعمل فى اتجاه واحـــد : الاســـتقبال دون الارســـال »[٦٩] .

ولن تختفى ظاهرة الاحالة من المسرح العربى ما لم يعمل نظام التعليم على تكوين الشخصية العربية الحضارية التى تتصف بالأصالة والتجديد فى كل المواقف الحياتية ، ولا بد لهذه الشخصية أن تقوم على دعامتين أساسيتين هما العلم والأخلاق . فمن دعامة العلم تستمد الشخصية العربية موضوعية المنهج فى التفكير والقصدية فى العمل والتخطيط والسببية التحليلية فى الطرائق والتجريب . ومن دعامة الأخلاق تستمد الطاقة الروحية والدينية والقيم الثقافية التى تنعكس فى سلوك الأفراد والجماعات وفى الحوافز والدوافع الانسانية التى تتحكم فى النهايـــة فى وجهة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فـــى

---

(٦٨) اسماعيل صبرى عبد الله « التنمية الاقتصادية العربية » فى دراسات فى التنمية والتكامل الاقتصادى العربى ( ص ٧٦ ) .

(٦٩) فهمى هويدى ، القرآن والسلطان (ص٤٢—٤٣) .

المجتمع • فالأخلاق بمعناها الواسع هى أحكام يضعها الأفراد حول طرائق السلوك فى ميادين التعامل البشرى وطرائق العيش كما يتصورونها من الناحية المعيارية • وكما قال أحمد أمين ناصحا ابنه : « ان أكثر من كانوا قبلك قد فسدوا لأنهم سافروا لأخذ شهادة وعادوا لأخذ درجة ، فليكن سفرك أنت للمعرفة والعلم ، وعودتك للاصلاح والنفع »(٧٠)•

ان الشخصية العربية التى يتوجب على نظام التعليم العمل على تكوينها هى شخصية تتصف بالمبادرة والابتكار فبالتالى لا بد أن تعـى أساليب التعرف على المشـاكل وتحديدها والالتزام الخلقى لايجـاد الحلول لها ، ومن ثم الشروع فى البحث عن البدائل المختلفة للوصول الى الحلول المناسبة • ولا بد أن تتصف هـذه الشخصية بالمرونة وسعة الصدر فلا تزدرى ما فى الشرق لشرقيته ولا تمجد ما فى الغرب لغربيته وانما تطلب الحق وتمجده حيث كان فلا تأبه للجديد لجدته ولا تنفر من القديم لقدمه(٧١) • كما يجب أن تبتعد هـذه الشخصية عن الحدية والغرور وتتصف بالتواضع والحلم وكما قال أحمـد أمين ناصحا ابنه أيضا : « ثم لا تكن مغرورا تعتقد أنك على حق مطلق ، وأن غيرك ان خالفك على باطل مطلق بل وسع صدرك فاجعل حقك يحتمل الخطأ وباطل غيرك يحتمل الصواب ، وقلما يعرف أحد الحق كل الحق ويقع أخوه فى الباطل كل الباطل ، فحقك مشوب بباطل كثير ، وباطل غيرك مشوب بحق كثير ، فاصغ الى رأيه وأعمل عقلك فيه واستخرج منه خير ما فيه وان أداك ذلك الى أن تعدل عن رأيك الى رأيه فافعل ولا تشمئز من ذلك ، فالحق يعلو ولا يعلى عليه »(٧٢) •

ولابد لهـذه الشخصية العربية أن تتصف بالذوق وحب الجمال لأنهما يتصلان بالاطار الذى تتكون فيه الحضارة فالجمال لابد أن يراعى

---

(٧٠) أحمد أمين ، الى ولدى ( الطبعة الثالثة ) بيروت ، دار الكتاب العربى ١٩٦٩ ( ص ٣٤ ) .

(٧١) المرجع السابق ص ٨٧ — ٨٨ .

(٧٢) نفس المرجع ص ١٧٩ .

فى النفوس ويتمثل فى الشـــوارع والبيوت فالاطار الحضـــارى بكل محتوياته يتصل بذوق الجمال(٧٣) وكما يقول أحمد أمين فانك ان شئت أن تعرف قيمة الذوق فى الأمة « فجردها من دور فنونها وجردها من حدائقها وبساتينها ، وجردها من مساجدها الجميلة والجليلة وكنائسها الفخمة وعمائرها الضخمة ، وجردها من نظافة شوارعها وتنظيم متاحفها ، ثم انظر بعد ذلك فى قيمتها وفيما يميزها عن غيرها من الأمم المتوحشة والأمم البدائية »(٧٤) .

ومعظم الناس ـــ كما يقول أحمد أمين ـــ يخضعون للذوق أكثر من خضوعهم للمنطق ما عدا القلة النادرة ـــ كالفلاسفة مثلا ـــ الذين يأسرهم العقل ويستميلهم أكثر من استمالة الذوق وأسره . كما أن هناك الكثـــير من الشبان الذين لا يرون الجمال الا فى وجه فتاة ولا يعرفون الذوق الا فى أناقة الحديث معها والتظرف اليها مع أن فى الدنيا جمال يفوق ذلك بمراحل كثيرة،كما أن للذوق مجالات متعددة ومراحل ودرجات،فالجمال يبدأ بالادراك الحسى للصورة الجميلة أو الوجه الجميل ويتدرج الى ادراك المعانى وعشق الجمال فى الكرامة والعزة والعدل ، كما أن الذوق يمكن أن يرتقى من الأشياء المحسوسة الى الرخاء والعدل والنفور من البؤس والفقر وكراهية القبح والضعة والظلم .

والذوق الجميـــل ينطبع فى فكر الأفراد ويجعلهم ينزعون الى الاحسان فى العمل والى الكريم من العادات والخصال فهو فى النهاية يتصل بالقيم الأخلاقية كما يتصل بالعقلانية والمنطق ، وبالتالى يصبـــح للذوق والجمال أهمية اجتماعية قصوى لأنهما يمثلان المنبع الذى تصدر

* * *

(٧٣) مالك بن نبى ، شروط النهضة ( ص ١٤٣ ) .
(٧٤) أحمد أمين ، الى ولدى ( ص ٣٧ ـــ ٣٨ ) .
(٧٥) مالك بن نبى ، شروط النهضة ( ص ١٤٤ ) .

منه الأفكار ومحددات الســـلوك الاجتماعى ، فلا غرو اذن أن ينادى مالك بن نبى بأن الجمال هو وجه الوطن فى العالم ولذا فان حفظ هـــذا الوجه هو حفظ لكرامة الوطن(٧٥) .